



السلفية الوهابية ، أنهار الشرق الديموية (8 - 8)

بقلم: رائف محمد الويشي

20 فبراير 2014

ذكرنا في الحلقة الأولى أن السلفية (التي تبنها ابن تيمية ونسبها زورا إلى السلف) هي نفسها الوهابية (التي تبنها تلميذه محمد بن عبد الوهاب ونسبها أيضا إلى السلف) ، فكلاهما شربا من منبع واحد وشخص واحد ، وهو اليهودي المتأسلم الحاخام كعب الأحبار الذي أنشأ مذهبه في التجسيم في أعقاب موت عمر بن الخطاب ، وأغرق الحديث النبوي بالإسرائيليات .. كما ذكرنا أيضا آراء بعض كبار علماء أهل السنة في هذا المنهج الضال المضل ، وختمنا الحلقة ببدء الدخول في سيرة محمد بن عبد الوهاب ..

في الحلقة الثانية واصلنا التوغل في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، وذكرنا نصوصا من كتب الوهابية أوضحت أن محمد بن عبد الوهاب كان يكفر المخالفين ويأمر بقتلهم ونهب أموالهم ..

في الحلقة الثالثة عرفنا المزيد من سيرة محمد بن عبد الوهاب من خلال كتب الوهابية أنفسهم ، ورأينا كيف تصاهر مع الأسرة الحاكمة وأصبح أحفاده يحكمون ، وكيف زاد منهجه سرعة في تكفير وقتل وسبى نساء المخالفين ونهب أموالهم ، وقد ذهب من جراء ذلك عشرات الألوف من المسلمين بزعم أنهم مشركون كفرة ، والوهابيون يقرون بذلك على سبيل الفخر في كتبهم ..

في الحلقة الرابعة أوردنا بعض نصوص الوهابية ورأينا كيف هم معجبون بارتكاب المزيد من المذابح بحق المسلمين بعد أن كفروهم ، كما ذكرنا تأسيس المملكة الأولى التي تبنت مبادئ محمد بن عبد الوهاب في تكفير وقتل المخالفين واستحلال نساءهم وأموالهم ..

في الحلقة الخامسة ذكرنا تأسيس المملكة الثانية التي واصلت على خطى المملكة الأولى في تبنى جميع أفكار محمد بن عبد الوهاب في تكفير وقتل المخالفين ونهب أموالهم وسبى نساءهم ، كما ذكرنا تأسيس المملكة الثالثة وما صاحبها من جرائم شبيهة بما حدث من قبل ..

في الحلقة السادسة عرفنا بعض جرائم الوهابية في الكذب وتزوير الكتب التي تدينهم حتى يغطوا على عشرات آلاف جرائم التكفير والقتل التي ارتكبوها باسم الإسلام بحق المسلمين ، وما صاحبها من استحلال للأعراض والأموال ..

في الحلقة السابعة عرضنا بعض أفعال الأمويين الإجرامية في المدن حتى نرى التطابق بينهم وبين أفعال تلامذتهم النجباء من السلفية الوهابية ..

في الحلقة الثامنة والأخيرة اليوم سنواصل عرض مزيد من جرائم الأمويين في فترة حكمهم للتدليل على سير السلفيين الوهابيين على طريقهم ..

الجريمة السابعة :

إنها أحد أبشع الجرائم ، حيث استباححت قوات يزيد بن معاوية المدينة فقتلت عشرة آلاف من رجالها واغتصبت أمثالهم من نساءها ، جري ذلك في عام 63 هـ ، وتسمى تلك الفاجعة بـ " حرة المدينة " ..

ذكر ابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 4 ص 112) رواية تدل على أن معاوية ترك وصيته لابنه للانتقام من المدينة وذلك كما يلي :

" إن معاوية قال ليزيد : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفت نصيحته ، فلما خلع أهل المدينة أمر مسلماً بالمسير إليهم ، وسار الجيش وعليهم مسلم ، فقال له يزيد : إن حدث بك حدثٌ فاستخلف الحصين بن نمير

السكوني ، وقال له: ادع القوم ثلاثاً ، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثاً ، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال " ..

قال ابن الأثير – توفي في 630 هـ في الكامل في التاريخ (ج 4 ص 112) ، وابن كثير – توفي في 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 239) أن يزيد بن معاوية قد قال لقائد جيشه مسلم بين عقبة عندما استعرض معه القوات في دمشق ما يلي :
" إذا قتلتم فأبج المدينة ثلاثاً للجند ، وإيّاك أن تمنع الجند من عدوّهم ، فليفعلوا ما شاءوا في المدينة " ..

قال الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 / 379) أن مسلم بن عقبة عندما دخل المدينة سعد منبر رسول الله (ص) وطلب من أهل المدينة المبايع ليزيد ، فسأله الناس ، على أي شيء نبايعك ؟ ، قال : تبايعوني على أنكم حول ليزيد - أي عبيد له ! - فدخل يزيد بن عبد الله بن الأسود (حفيد أم المؤمنين أم سلمة) وقال له : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، قال : تبايعني على أنك فيء ليزيد ، قال : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، قال : قدّموه واضربوا عنقه ، ثم دخل رجل آخر ، قال له : تبايعني على أنك قن ليزيد ، قال : أبايعك على سنة عمر ، قال : قدّموه واضربوا عنقه ! ، دخل عقب ذلك جميع الرجال إلى مسلم بن عقبة وبايعوه ليكونوا عبيدا ليزيد بن معاوية ..

أصبحت المدينة بموجب تلك البيعة ملكا لجيش يزيد ابن معاوية ، فاستباحها جنده لثلاثة أيام فنهبوا الأموال وسبوا الذرية فأضحوا يقتلون ويستبيحون الفروج ، فوقعوا على نساء الصحابة والتابعين حتى قيل حملت في تلك الأيام ألف امرأة زوج وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد بـ " أولاد الحرة " ..

كان مسلم بن عقبة يدفع 40 دينار عن كل رجل يقوم جنوده بقتله ، بلغ عدد القتلى من وجوه الناس سبعمائة من قريش والأنصار بل قيل أنه قتل من الأنصار 1400 وقيل 1700 ، ومن قريش 1300 ، وقتل من الموالى والعبيد 10 آلاف ..

(ملاحظة : لقب مسلم بن عقبة بمسرف بن عقبة لإسرافه في القتل ، وكان من أنصار معاوية ، وحارب معه في صفين وفقد بها إحدى عينيه ، وبعد أن فرغ من جريمته في المدينة توجه إلى مكة لتدميرها لوجود مقاومة بها بقيادة عبد الله بن الزبير ، وقد مات في الطريق عن عمر يناهز التسعين ودفن في مكان يسمى المشلل ، وقد تعرض قبره للنهب وأخرجت جثته وصليت في مرحلة تالية) ..

يقول الذهبي – توفي في عام 748 هـ - في هامش سير اعلم النبلاء (ج 4 ص 228) عن ابن حزم في كتابه سير جوامع السيرة (ص 357) قولهما يلي :

" أغزى يزيد الجيوش إلى المدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى مكة حرم الله تعالى ، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار يوم الحرة ، وهي أيضا أكبر مصائب الإسلام وخرومه ، لأن أفاضل المسلمين وبقية الصحابة ، وخيار المسلمين من جلة التابعين قتلوا جهرا ظلما في الحرب وصبرا ، وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر!! ولم تصل جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا كان فيه أحد ، حاشا سعيد بن المسيب فإنه لم يفارق المسجد ، ولولا شهادة عمرو بن عثمان بن عفان ، ومروان بن الحكم عند مجرم بن عقبة المري بأنه مجنون لقتله ! وأكره الناس على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد له ، إن شاء باع ، وإن شاء أعتق ! وذكر له بعضهم البيعة على حكم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله ، فضرب عنقه صبرا ! وهتك مسرف أو مجرم الإسلام هتكا ، وأنهب المدينة ثلاثاً ، واستخف بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدت الأيدي إليهم وانتهبت دورهم! " ..

قال السيوطي – توفي في عام 911 هـ - في تاريخه (ص 158) عن واقعة الحرة ما يلي :

" وفي سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلصوه ، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير ، فجاءوا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة ذكرها الحسن مرة ، فقال والله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ، ونهيت المدينة ، واقترض فيها ألف عذراء ، فإننا لله وإننا إليه راجعون " ..

قال ابن قتيبة – توفي في عام 276 هـ - في شأن ما جري في حرة المدينة ما يلي :

" عندما انتهى مسلم بن عقبة من الحرب والإغارة على أهل المدينة المنورة ، كتب رسالة إلى يزيد جاء فيها : السلام عليك يا أمير المؤمنين... فما صليت الظهر إلا في مسجدهم ، بعد القتل الذريع والانتهاج العظيم ... وأوقعنا بهم السيوف ، وقتلنا من أشرف لنا منهم ، وأتبعنا مدبرهم ، وأجهزنا على جريحهم ، وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين .. " ..

قال سبط ابن الجوزي عن المدائني ما يلي :

" بلغ عدد قتلى الحرّة يومئذ من كبار قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ومن الموالى سبعمائة رجل ، ومن العبيد والإماء والرجال والنساء حطي وصل أعدادهم إلى عشرة آلاف ، ووصلت الدماء إلى قبر النبي (ص) وامتألت الروضة الشريفة ومسجد النبي (ص) بها " ، وقد عبر مجاهد عن شدة إراقة الدماء فقال : " التجأ الناس إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبره ، فكانت السيوف تنزل عليهم وتحصدهم " ، وروى المدائني عن ابن قره ، عن هشام بن حسان أنه قال: " ولدت ألف امرأة بعد وقعة الحرّة من غير زوج .. "

(ملاحظة : سبط ابن الجوزي هو حفيد الإمام الحنبلي أبي الفرج ابن الجوزي المتوفي في عام 597 هـ ، ولد سبط في بغداد في عام 581 هـ ونشأ على المذهب الحنبلي أيضا ، لكن لما هاجر إلى الموصل تحول عنه وأصبح حنفيا ، له مؤلفات كثيرة ، منها : تذكرة الخواص ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، إيثار الإنصاف في آثار الخلاف ، وسائل الأسلاف إلى مسائل الخلاف ، توفي سبط ابن الجوزي في دمشق ودفن في جبل قيسون في عام 654 هـ) ..

يقول أبو الفداء إسماعيل – توفي في عام 732 هـ - في المختصر في تاريخ البشر (توفي في 774 هـ) ما يلي :

" ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرّة وعليهم مُسرف ، خرج إلى حربه أهلها عليهم عبد الله بن مطيع العدويّ وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس ، فممن قتل من آل أبي طالب اثنان : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب ، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب : الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، والعباس بن عثبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ، ومثلهم من الأنصار ، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف .. وبأيع الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد ، ومنّ أبي ذلك أمره مُسرف على السيف " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : أفاد المؤرخون بقتل من تبقي من البديين في حرّة المدينة ، فقد قتل بها جل الصحابة وعلي رأسهم أبو سعيد الخدري ، وهو الذي بقي بجانب الإمام علي (ع) وكان أحد سبعة عشر وقفوا لما ناشد الإمام علي الحاضرين بأن يقف منهم من سمع حديث الغدير من النبي (ص) ، ورفض أنس بن مالك الوقوف فدعي عليه الإمام (ع) بطول العمر وفضيحة يراها الناس فأصابه مرض البرص ومات بعد أن تعدي المائة ..

الملاحظة الثانية : فعل يزيد ما فعل بأمر من أبيه معاوية – كما ذكرنا عن ابن الأثير – وهو الذي فعل ما فعل من جرائم بحق المسلمين ، ولنا في حديث النبي (ص) في من يروع أهل المدينة لعبرة :

قال البخاري – توفي في عام 256 هـ - في صحيحه (ج 3 ص 181) ، ومسلم – توفي في عام 261 هـ - في صحيحه (ج 4 ص 113) عن سعد ابن أبي وقاص عن النبي (ص) أنها قال ما يلي :

" لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء " ..

قال النسائي – توفي في عام 303 هـ - في سننه (ج 2 ص 483) ، وأحمد – توفي في عام 241 هـ - في مسنده (رقم الحديث 16214) عن سائب ابن خالد عن النبي (ص) يتوعد من يخيف أهل المدينة ، فيقول ما يلي :

" من أخاف أهل المدينة أخافه الله ، وعليه لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل " ..) ..

الجريمة الثامنة :

أمر عبد الملك بأن يتولى الحجاج الثقفي إمارة مكة وبقى في عمله حتى عام 75 حيث كثرت شكاوى الناس فيه ، فنقله عبد الملك إلى العراق واتخذ من الكوفة مقرا لحكمه ، فبدأ عمله بأن أمر الناس بالاجتماع في المسجد ، ثم دخل عليهم ملثماً بعمامة حمراء ، وأعتلى المنبر فجلس وأصبعه على فمه ناظراً إلى الناس ، فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة وقال خطبته المشهورة التي بدأها بقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونني

كان الحجاج يطوف بكل مدن العراق ويخطب مهديدا كل من يخالفه بالقتل ، ونذكر من تلك الخطب جملته المشهورة في الناس " إنني أرى رؤوسا أينعت وحنان قطفها " ، ونذكر قوله من على المنبر " والله لا أمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد ، فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه " ، وقد لقبه المؤرخون بالمبيد وقالوا أنه أسرف في القتل والتعذيب ..

ذكر المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 / 170) ، والسيوطي – توفي في عام 911 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 220) يوصي عبد الملك بن مروان وهو على فراش الموت ابنه الوليد ابن عبد الملك بالحجاج خيرا كما يلي :

" وأنظر إلى الحجاج فأكرمه فهو الذي وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، أنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا ما مت إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا (أي لا) ، فقل بسيفك هكذا (وأشار إلى العنق) " ..

كان الحجاج وضيعا دون نسب من ثقيف ، ولما زاع صيته عند الأمويين زوجه بهند بنت النعمان ذات الحسب والنسب ، وكانت سيدة كبيرة في العمر ، لكن الهدف لم يكن إلا لكسب هذا النسب بالزواج به ، وهى كانت مرغما على ذلك .. دخل الحجاج يوما على هند في غرفتها ، فسمعها وهى تقول :
وما هند إلا مهرة عربية ... سلالة أفراس تحللها بغل
فإن ولدت فحلا فله درها ... وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

يقول الذهبي – توفى في عام 748 هـ - في تاريخ الخلفاء (ص 86) ما يلي :
" لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة رضي الله عنهم يُهينهم ويُذلمهم قتلًا وضربًا وشتمًا وحبسًا ، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين مالا يُحصى فضلا عن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختمًا يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه " ..

قال ابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 9 ص 138) عن الحجاج الثقفي ما يلي :
" وكانت فيه شهامة عظيمة، وفي سيفه رفق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شذبة ، وكان يغضب غضب الملوك " ..

قال الترمذي – توفى في عام 279 هـ - في سننه (ج 4 ص 433) عن هشام ابن حسان أنه قال عن الحجاج الثقفي ما يلي :
" أَحْصُوا مَا قُتِلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا قَبْلَ مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ " ..

قال ابن عساکر – توفى في عام 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 12 ص 185) عن الحجاج ما يلي :
" كان مضيعا للصلوات ، مفرطًا فيها ، لا يصلبها لوقتها " ..

(**ملاحظتان : الملاحظة الأولى** : ولد الحجاج بن يوسف الثقفي في الطائف من قبيلة ثقيف في عام 41 هـ وتوفي في العشر الأخيرة من رمضان من عام 95 هـ ، بدأ حياته كمعلم للقرآن في ثقيف ثم انتقل إلى الشام وعمل في جهاز شرطة الأمويين وترقى سريعًا نظرًا لموالته لهم ، تولى الحجاز ومكة في عام 75 هـ ثم تولى الكوفة وبقى بها عشرين عامًا إلى أن مات ، كان الحجاج هو اليد الطولي للأمويين وسندهم ، مات في سجونهم عشرات الألوف من الرجال والنساء - كما ذكرنا - وكان الكثير منهم يقبع في السجون عرايا كما كان يفعل هتلر في بعض اليهود ..
قال ابن عبد ربه في العقد الفريد أن أسماء بنت أبي بكر (والدة عبد الله بن الزبير) قالت له : سمعنا رسول الله يقول أنه يخرج من ثقيف رجلان ، الكذاب والمبير ، وأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير (أي المبيد والمسرف في قتل الناس) فلا أظنه سواك ..
قال ابن عساکر في تاريخ مدينة دمشق (ج 12 ص 157) أن الحجاج ترك وصية له عند موته قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف : أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث ..
الملاحظة الثانية : يلاحظ التشابه الشديد بين زواج أبي هريرة وزواج الحجاج ، فكلاهما أتى الأمويون به وزوجه من بنت الحسب لسد عقدة النقصان المتفاقمة عنده) ..

الجريمة التاسعة :

تحدث هنا عن الجريمة الكبرى التي وقعت على يد الأمويين والتي تمثلت في ضرب بيت الله الحرام في مكة مرتين بالمنجنيق وإشعال النار فيه وقتل من يحتمي به ..

المرّة الأولى :

كانت في الثالث من ربيع الأول 64 هـ بين عبد الله بن الزبير الذي تحصّن في الكعبة المشرفة وبين جيش يزيد ابن معاوية القادم من المدينة بعد أن ارتكب جريمة الحرة بها ..

قال الطبري – توفى في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 4 ص 383) ، وابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - الكامل في التاريخ (ج 4 ص 124) ، وابن كثير – توفى في عام 774 هـ - في البداية والنهاية (ج 8 ص 247) ، وابن حجر العسقلاني – توفى في عام 852 هـ - في تهذيب التهذيب (ج 2 ص 338) أن يزيد بن معاوية قال لمسلم بن عقبة قبل خروجه من الشام لمحاربة أهل المدينة ما يلي : " إذا انتهيت من المدينة فإذهب إلى مكة ، واقتل عبد الله بن الزبير ومن معه " ..

أورد المسعودي - توفي في عام 346 هـ - في مروج الذهب (ج 3 صفحة 69-72) ما يلي :
" وفي عام 64 هـ أرسل نفس ذلك الجيش لقمع ثورة عبد الله بن الزبير بمكة ، فهجم عليها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرق البيت الحرام وهدمه وقتل خلقاً كثيراً من أهلها " ..

قال المؤرخ ابن منظور - توفي في 711 هـ - في مختصر تاريخ مدينة دمشق أن مسلم بن عقبة بعدما فرغ من ارتكابه الجرائم بالمدينة جهز جيشه للذهاب إلى مكة لإخماد تمرد بن الزبير ، وقال وهو في الطريق لمكة ما يلي :
" اللهم ، إنه لم يكن قوم أحب إليّ أن أقاتلهم من قوم خلعوا أمير المؤمنين ، ونصبوا له الحرب ، اللهم فكما أقررت عيني من أهل المدينة فأبقني حتى تقرّ عيني من ابن الزبير " ..

توفي قائد الجيش الأموي مسلم بن عقبة قبل أن يصل إلى مكة ، فتولي مكانه الحصين بن النمير ، ولما فشلت قواته في اقتحامها وضع المحاصرون المنجنيق ورمي الكعبة بالنار ، فاحترقت ، ثم بقوا محاصرين للبيت الحرام عدّة شهور حتى وصلهم خبر موت يزيد فرجعوا إلى الشام ، وقد كان انسحابهم غير منظم ، ربما بسبب خوفهم مما أحدثوه بالمدينة ومن قبل ذلك من قتل الحسين فتفرقوا في الصحراء ، فلاحقهم أهل مكة والمدينة ، حتى أخذوا أربعمائة منهم إلى الحرّة بالمدينة ، وأمر مصعب بن الزبير بقتلهم ، ثم بايع أهل المدينة أخاه عبد الله بن الزبير بالخلافة ..

لقد رفض عبد الله بن الزبير عرضاً مغرياً من الحصين بن النمير ، قائد القوات الأموية ، بأن يصبح خليفة ، قال له بن نمير : " أنت أحق بهذا الأمر هلم فلنبايعك ، ثم أخرج معنا إلى الشام فإن هذا الجند الذين معي هم وجوه الشام وفرسانه ، فوالله لا يختلف عليك اثنان على أن تؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك " ..

أغلب الظن أن عبد الله بن الزبير خاف من تكرار السيناريو الذي حدث مع الإمام الحسين ورفض مغادرة الحجاز ، فقد كان يعتقد أن الأمويين يعدون له عدة في الشام وسيغدرون به هناك ..

المرة الثانية :

كانت في عام 73 هـ في زمن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، فقد توجه الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الطائف ، وأرسل من هناك بعض جنوده لقتال عبد الله بن الزبير بمكة ، فدارت بينهما عدّة اشتباكات كانت نتيجتها في صالح الحجاج ، ثم تقدم وضرب حصاراً على مكة ، فأصاب أهل مكة مجاعة كبيرة ، ونصب المنجنيق على جبل أبي قيس ، وبدأ بضرب الكعبة ، فلما أتى موسم الحج طلب عبد الله بن عمر من الحجاج أن يكف عن ضرب الكعبة بالمنجنيق ، لأنّ الناس قد امتنعوا عن الطواف فامتثل الحجاج ، وبعد الفراغ من طواف الفريضة عاود الحجاج الضرب ، وتشدّد في حصار ابن الزبير حتى انصرف عنه رجاله ، ولكن ابن الزبير لم يتراجع ، فخرج لقتال جيش الحجاج فقتل ..

كان عبد الله بن الزبير يعلم بأن مصيره القتل ، وقد قال لأمه اسماء بنت أبي بكر التي كانت قد تجاوزت المائة عام : " يا أمه إني مقتول ، فلا يشتد حزنك " ..

غسل عبد الله بن الزبير كل جسده بالعطر قبل المواجهة الأخيرة ، فهو يعلم بدأب الأمويين في التمثيل بالجثث ، كما فعلوا في جسد الحسين (ع) ..

فصل الحجاج رأس عبد الله بن الزبير ، وأمر بتعليقه مصلوباً ليراه الناس ، بقيت أمام الحجاج مشكلة العطر الذي كان يفوح من جثمان بن الزبير ، وجد الطاغية حلاً بقتل أحد الكلاب حتى أصبح جيفة فوضعه بجوار الجثة (راجع ابن الأثير في الكامل في التاريخ ج 4 ص 309) ..

الجريمة العاشرة :

نتناول في هذه الجريمة حادثاً مأساوياً قل ما يتكرر في تاريخ البشرية من فرط بشاعته وبربرية مرتكبيه ، إنه حادث التمثيل بجثة زيد بن علي بن الحسين (ع) في أعقاب مقتله في معركته مع الأمويين بعد أن خذله أهل الكوفة ، كان ذلك في عام 122 هـ ..

زيد بن علي ، وما أدراك ما زيد !

هو شقيق الإمام محمد الباقر (ع) ، كان زيد بن علي بن الحسين (ع) - مثل أخيه محمد - علماً من أعلام الفقه ، وزاده الله ورعا

وزهدا وبشاشة وجه حتى أصبح نورا يمشي بين الناس ، ويعتبر زيد بن علي بن الحسين (ع) أحد المعالم الواضحة في قائمة فقهاء أهل البيت ..

يقول الإمام زيد بن علي بن الحسين (ع) عن نفسه ما يلي :
" والله ما خرجت ولا قمت مقامي هذا حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض وأحكمت السنة والأدب وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل وفهمت الناسخ والمنسوخ والمحكم وما تحتاج إليه الأمة في دينها مما لا بد منه ولا غنى عنه واني لعلى بينة من ربي " ..

عن حذيفة بن اليمان أنه قال ما يلي :
" نظر رسول الله إلى زيد بن حارثة ، فقال : المظلوم من أهل بيتي والمقتول في الله والمصلوب من أمتي ، سميُّ هذا وأشار إلى زيد بن حارثة ، ثم قال : ادن مني يا زيد زادك اسمك عندي حبا ، فأنت سميُّ الحبيب من أهل بيتي " ..

قال محمد الجواد بن علي بن الحسين عليهم السلام ما يلي :
" قال رسول الله صلي الله عليه وآله للحسين : يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس ، غرا محجلين يدخلون الجنة بغير حساب " ..

قال عبد الملك بن أبي سليمان عن رسول الله (ص) أنه قال :
" يقتل رجل من أهل بيتي فيصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته " ..

قال علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب أنه قال ما يلي :
" يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له زيد في أبهة ، لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله ، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا أعناق الخلائق ، تتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء حلف الخلف ودعاة الحق ، ويستقبلهم رسول الله فيقول : " يا بني قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب " ..

قال أحمد بن سعيد عن يحيى بن الحسين عن هارون بن موسى أنه قال ما يلي :
" سمعت محمد بن أيوب الرافقي يقول : كانت المرجئة وأهل النسك لا يعدلون بزید أحدا " ..

قال عيسى بن كثير الأسدي عن خالد مولي آل الزبير أنه قال ما يلي :
" كنا عند علي بن الحسين فدعا ابنا له يقال له زيد فكبا لوجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : أعينك بالله أن تكون زيذا المصلوب بالكناسة ، من نظر إلى عورته متعمدا أصلى الله وجهه النار " ..

قال الحسن بن الحسين الكندي عن خصيب الواشبي أنه قال ما يلي :
" كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه " ..

قال عبد الله بن جرير ما يلي :
" رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد ابن علي بالركاب ويسوى ثيابه على السرج " ..

(ملاحظة : جعفر (الصادق) بن محمد (الجواد) بن علي (زيد العابدين) بن الحسين (سيد الشهداء) بن علي بن أبي طالب (الوصي) عليهم السلام هو الإمام السادس في الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام ، وهو أستاذ الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وكان معروفا بغزارة العلم ، قتله الخليفة أبو جعفر المنصور بالسم في عام 148 هـ لخوفه علي ملكه من آل محمد ..) ..

قال سعيد بن خيثم عن أبي قررة أنه قال ما يلي :
" خرجت مع زيد بن علي ليلا إلى الجبان وهو مرخي اليدين لا شيء معه ، فقال لي : " يا أبا قررة أجائع أنت ؟ قلت نعم ، فناولني كمثراة ملاء الكف ، ما أدري أريحها أطيب أم طعمها ، ثم قال لي : يا أبا قررة أتدري أين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة ، نحن عند قبر أمير المؤمنين علي ، ثم قال لي " يا أبا قررة والذي يعلم ما تحت وريد زيد بن علي إن زيد بن علي لم يهتك الله محرما

منذ عرف يمينه من شماله ، يا أبا قرّة من أطاع الله أطاعه ما خلق " ..

قال أبو معمر سعيد بن خيثم ما يلي :

" كان بين زيد بن علي وعبد الله بن الحسن مناظرة في صدقات علي ، فكانا يتحاكمان إلى قاض من القضاة ، فإذا قاما من عنده أسرع عبد الله إلى دابة زيد فأمسك له بالركاب " ..

قال سعيد بن عمرو بن يونس بن جناب أنه قال ما يلي:

" سعيد بن عمرو عن يونس بن جناب قال : جئت مع أبي جعفر إلى الكتاب فدعا زيدا فاعتقه وألزم بطنه ببطنه وقال : أعينك بالله أن تكون صليب الكناسة " ..

قال عبد الله بن مسلم بن بابك ما يلي :

" خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة فلما كان نصف الليل واستوت الثريا فقال : يا بابكي أما ترى هذه الثريا ، أترى أحدا ينالها ؟ قلت لا قال : والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع ، فأتقطع قطعة قطعة وان الله أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم " ..

ثار زيد بن علي بن الحسين (ع) مع أهل الكوفة الذين عاهدوه على النصره ضد ظلم الأمويين وجبروتهم في الأرض ، ورغم خذلان أهل الكوفة معه – كما فعلوها دائما مع أهل البيت - أبدى زيد بن علي شجاعة فائقة أثناء معاركه مع الأمويين في الكوفة واستطاع أن يلحق الهزائم بهم مرات عديدة ، وسقط عندما أصابه سهم منهم في رأسه فنقل إلى أحد البيوت ليعالج .. أخبره الطبيب المعالج أن السهم نافذ بعمق في رأسه وإن نزعه سيتسبب في موته ، قال له الإمام زيد : " الموت أيسر عليّ مما أنا فيه " ، فلما نزعه الطبيب مات زيد وهو يبلغ من العمر اثنين وأربعين عاما أو أربع وأربعين عاما..

قام أصحاب زيد بن علي (ع) بدفنه سرا في حضور غلام من السند ، أخبر الغلام الأمويين بمكان دفن زيد فذهبوا إليه واستخرجوا الجثة .. حمل الجسد الطاهر إلى القصر في الكوفة وأمر بصلبه منكوسا في سوق الكناسة بعد فصلوا رأسه الشريف ، وكما فعلوا برأس الحسين الشهيد فعلوا برأس حفيده زيد ، فرفعوا على الرماح وطافوا بها البلدان ، ثم أرسلوها هدية إلى هشام بن عبد الملك بدمشق ، كما فعلوا برأس الحسين مع يزيد في دمشق ففرح بها كما فرح يزيد بن معاوية برأس الإمام الحسين (ع) ، فأمر بنصب الرأس الشريف على باب دمشق ثم أرسلت إلى المدينة عند قبر النبي (ص) يوما وليلة ثم أرسلها إلى مصر ، كان ذلك حقدا علي أهل البيت ولإذاعة الخوف والإرهاب بين الناس ..

أما الجسد الطاهر فقد صلب عاريا على جذع شجرة في الكوفة وأحاط به حرس مكثف مخافة أن يسرق ويدفن وبقي مصلوبا لأربع سنوات حتى بقي عظما ، ولما مات هشام وولي من بعده الوليد بن يزيد كتب إلى حاكم الكوفة يوسف بن عمر كتابا يأمر به بأن ينزل الجثمان الطاهر ويحرقه بالنار وقام ولي الكوفة بإحراق الجسد وذره في الفرات وهو يقول والله يا أهل الكوفة لأدعكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com